الذين حولهم وجاؤا بجموعهم الى المدينة ليستأصلوا المؤمنين فاجتمعت قريش
وحلفاؤها من بني اسد واشجع وفزارة وغيرهم من قبائل نجد واجتمعت ايضا اليهود
من قريظة والنضير فان بني النضير كان النبي صلى الله عليه وسلم قد اجلاهم قبل ذلك
كما ذكره الله في سورة الحشر فجاؤا في الاحزاب الى قريظة وهم معاهدون للنبي صلى الله
عليه وسلم ومجاورون له قريبا من المدينة فلم يزالوا بهم حتى نقضت قريظة
العهد ودخلوا في الاحزاب فاجتمعت هذه الاحزاب العظيمة وهم بقدر المسلمين
مرات متعددة فرفع النبي صلى الله عليه وسلم الذرية من النساء والصبيان
في آطام المدينة وهي مثل الجواسق ولم ينقلهم الى موضع آخر وجعل ظهرهم الى سلع
وهو الجبل القريب من المدينة من ناحية الغرب والشام وجعل بينه وبين العدو
خندقا والعدو قد احاط بهم من العالية والسافلة وكان عدوا شديد العداوة
لو تمكن من المؤمنين لكانت نكايته فيهم اعظم النكايات وفي هذه الحادثة
تحزب هذا العدو بجانب ديار المسلمين وهو بين الاقدام والاحجام مع قلة من بازائهم
من المسلمين ومقصودهم الاستيلاء على الدار واصطلام اهلها كما نزل اولئك بنواحي المدينة
بازاء المؤمنين ودام الحصار على المسلمين عام الخندق على ما قيل بضعا وعشرين ليلة
وقيل عشرين ليلة وهذا العدو عبر الفرات سابع عشر ربيع الآخر وكان اول انصرافهم
راجعا عن حلب لما رجع مقدمهم الكبير قازان بمن معه يوم الاثنين حادي او ثاني عشر
جمادى الاولى يوم دخل العسكر عسكر المسلمين الى مصر المحروسة فاجتمع بهم الداعي و
خاطبهم في هذه القضية وكان الله سبحانه وتعالى لما القى في قلوب المؤمنين ما القى من
الاهتمام والعزم القى في قلوب عدوهم الروع والانصراف وكان عام الخندق برد
شديد وريح شديدة منكرة بها صرف الله الاحزاب عن المدينة كما قال تعالى
فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وهكذا هذا العام اكثر الله فيه الثلج و
المطر والبرد على خلاف اكثر العادات حتى كره اكثر الناس ذلك وكنا نقول لهم لا تكرهوا
ذلك فان لله فيه حكمة ورحمة وكان ذلك من اعظم الاسباب التي صرف الله بها
العدو فانه كثر عليهم الثلج والمطر والبرد حتى هلك من خيلهم ما شاء الله وهلك
ايضا منهم من شاء الله وظهر فيهم وفي بقية خيلهم من الضعف والعجز بسبب البرد
والجوع ما رأوا انه لا طاقة لهم معه بقتال حتى بلغنا عن بعض كبار المقدمين
في ارض الشام انه قال لا بيض الله وجوهنا عدونا في الثلج الى شعره ونحن قعود
لا نأخذهم وحتى علموا انهم كانوا صيدا للمسلمين لو يصطادونهم لكن الله في تأخير
اصطيادهم

انهم

اصطيادهم حكمة عظيمة وقال الله في شأن الاحزاب اذ جاؤكم من فوقكم
ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله
الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وهكذا هذا العام جاء العدو
من ناحيتي علو الشام وهو شمال الفرات وهو قبلي الفرات فزاغت الابصار
زيغا عظيما وبلغت القلوب الحناجر لعظم البلاء لا سيما لما استفاض الخبر بانصراف
العسكر الى مصر وتقرب العدو وتوجهه الى دمشق وظن الناس بالله الظنونا
هذا يظن انه لا يقف قدامهم احد من جند الشام حتى يصطلموا اهل الشام
وهذا يظن انهم لو وقفوا لكسروهم كسرة واحاطوا بهم احاطة الهالة
بالقمر وهذا يظن ان ارض الشام ما بقيت تسكن ولا بقيت تكون تحت مملكة
الاسلام وهذا يظن انهم يأخذونها ثم يذهبون الى مصر فيستولون عليها فلا
يقف قدامهم احد فيحدث نفسه بالفرار الى اليمن ونحوها وهذا اذا احسن ظنه
قال انهم يملكونها العام كما ملكوها عام هولاكو سنة سبع وخمسين ثم
قد يخرج العسكر من مصر فيستنقذها منهم كما خرج ذلك العام وهذا ظن خيارهم
وهذا يظن ان ما اخبره به اهل الآثار النبوية واهل التحديث والمبشرات
اماني كاذبة وخرافات لاغية وهذا قد استولى عليه الرعب والفزع حتى
يمر الظن بفؤاده مر السحاب ليس له عقل يتفهم ولا لسان يتكلم وهذا قد
تعارضت عنده الامارات وتقابلت عنده الارادات لا سيما وهو لا يفرق من
المبشرات بين المخطئ والصائب ولا يعرف النصوص الاثرية معرفة العلماء
بل اما ان يكون جاهلا بها وقد سمعها سماع الغبرا ثم قد لا يتفطن لوجوه
دلالتها الخفية ولا يهتدي لدفع ما يتخيل انه معارض لها في بادي الرؤية
فلذلك استولت الحيرة على من كان متسما بالاهتداء وتراجمت به الآراء
تراجم الصبيان بالحصباء هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا
ابتلاهم الله بهذا الابتلاء الذي يكفر به خطيئاتهم ويرفع به درجاتهم
وزلزلوا بما حصل لهم من الرجفات ما استوجبوا به اعلى الدرجات قال الله
تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا
غرورا وهكذا قالوا في هذه الفتنة فيما وعدهم اهل الوراثة النبوية والخلافة
الرسالية وحزب الله المحدثون عنه حتى حصل لهؤلاء التأسي برسول الله

العبر

اعلى